

التراث الأدبي الموريسكي بين الإبداع والمقاومة

د. خديجة دوبالي

جامعة ابن خلدون / تيارت

الملخص:

يعتبر التراث الأدبي الذي خلفه مسلمو إسبانيا مجالا واسعا للدراسات المعاصرة، وما أبهر المختصين في هذا المجال هي تلك القدرة التي تمتع بها هؤلاء في استعمالهم لغة ذات ثقافة مزدوجة خلدت الذاكرة الجماعية لهذه الأمة الشهيذة في زمن الاضطهاد والإرهاب الديني والفكري، وعبرت عن الشتات الذي عانوا منه، كما ترجمت المستوى الثقافي الذي بقي من الثقافة الأندلسية التي بدأ ينطفئ نورها بسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م.

فقد ترك مسلمو إسبانيا ضمن سجلهم النثري، نتاجا فكريا، من خلاله حاولوا إثبات إصرارهم على تمحورهم حول ذاتهم الخاصة وتقوقعهم فيها؛ تشبثا منهم بهويتهم المهددة. فقد استجاب هذا الأدب في أصله إلى هذه الاستراتيجية التي أملت عليها سياقات وجوده التاريخية، المتميزة باضطهاد السلطات الدينية والسياسية الإسبانية له ولأهله، ومراهناتها على اجتثاثهم عن هويتهم واستيعابهم في هويتها والقضاء المبرم عليهم. لذلك، حفل السجل المذكور بعدد هائل من التأليف التي عملت على مواجهة هذه السلطات لإنقاذ تلك الهوية والمحافظة عليها.

Abstract:

The literary heritage produced by the Muslims of Spain is considered ample space for contemporary studies, and what appealed to specialists in this field is the capacity they enjoyed in their use of a dual language, this Lastly, immortalized the collective memory of the martyred people in times of persecution, and in times of religious and intellectual terrorism.

As it has translated the cultural level that has remained of the Andalusian culture and which began to extinguish with the fall of Granada in 1492.

The Spanish Muslims have lived an intellectual terrorism because the Spanish authorities have asked all its institutions, to work hard to demolish their sacred symbols, for this cause the Muslims of Spain have resisted by all means to maintain the viability of their muslim personality.

الكلمات المفتاحية : الأندلس / إسبانيا / مسلمو إسبانيا / الإنتاج الأدبي / الصراع الفكري / الهوية الإسلامية.

لقد دأب الباحثون المختصون في الدراسات الأندلسية إلى تناولها داخل حقبة زمنية امتدت من الفتح الإسلامي للأندلس⁽¹⁾ وإلى غاية نهاية الحكم العربي الإسلامي بها⁽²⁾، وكأن هذه الآداب قد انطفأت وقررت نهايتها وتوقفها، عشية سقوط غرناطة "GRENADA"⁽³⁾، آخر معاقل الإسلام بهذه الجهة من العالم.

ومن المعلوم أنه بعد هذا الحدث الذي يعد حدثا كارثيا بالنسبة للحضارة الإسلامية لم يرحل جميع المسلمين عن هذه الجزيرة، هؤلاء استمروا في إنتاج آدابهم بها، وحتى الذين خرجوا منها بعد ذلك الحدث، أو بعد هذا القرن، أو خلال المرحلة الفاصلة بينهما، لم ينقطعوا أبدا عن مواصلة إنتاج آدابهم.

غير أن هذه الآداب قد عرفت تحولات مختلفة، باختلاف تحولات الصراع⁽⁴⁾ الحضاري بين الإسلام والنصرانية الذي دار بهذه الجهة السالفة الذكر⁽⁵⁾. فلقد واكب أيضا هذا الصراع، ليعبر عنه، وليجسده ضمن أغراضه وسماته، ووفق مقوماته وأساليبه، التي سنحاول عرض نماذج منها، لاستعادتها بوصفها جزءا لا ينبغي تجزئته عن الأدب الأندلسي العام.

ويكفي في البداية للاستدلال على هذا الأمر، التنبيه على أن منتجي هذا الأدب قد وقعوه بوصفه أدبا أندلسيا إسلاميا، كما تعرف إليه مستهلكوه، من حيث كونه كذلك. غير أن هذا الأمر لا يعني أبدا، كما سنذكر لاحقا، بأن هذا الأدب لم ينفتح، ضمن تحولات هذا الصراع وتلويناته، على النتاج الأدبي الإسباني، أو أنه لم يتبادل معهما أي تفاعل، بل واكب ليعبر عنه، وليجسده ضمن مختلف أجناسه وأنواعه، ووفق مقوماته وأساليبه وسماته المخصوصة.

ولا عجب في ذلك، فالواقف عليها كما هي مثبتة في مخطوطات⁽⁶⁾ أهلها أوفيميا نشر منها، يدرك بكل سهولة انصهارها في وحدة إنتسابية إلى الآداب العربية الإسلامية، بالرغم من اضطرار أصحابها إلى إنتاجها واستهلاكها في غالب الأحوال بغير اللغة العربية لكن إلى أي حد يمكن الحديث أصلا عن وجود فعلي لهذه الآداب، ثم كيف عبرت عن ذلك الصراع؟ وكيف واكبت تحولاته؟ وكيف خضعت بدورها إلى تحولات موازية؟

1- أدب الرسائل:

شكلت الكتابة أحد أبرز الفنون النثرية، فقد تبوأ مكانة رفيعة لدى الأندلسيين، حيث كان للكاتب في الأندلس منزلة عظيمة في نفوس الملوك وعامة الناس، لذلك لا يتولى هذا المنصب إلا من أوتي قدرا كبيرا من العلم والمعرفة لأن من نال شرف اسم الكاتب وخطب به لايحوز في حقه الغلط البين، لأن الناس يترصدون عثراته، ولا يكادون يغفلون عنه لحظة مهما كانت منزلته الاجتماعية وقربته من الحاكم.

ويمكن القول بأن النثر الأندلسي كان ينسج على منوال النثر المشرقي ويسير على نهجه؛ وكبار النثر في الأندلس هم كبار شعرائها أمثال ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وأبي حفص ابن برد وابن دراج القسطلي ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم، وهذا على عكس أعمدة النثر في المشرق حيث كان شعرهم أقل جودة من نثرهم ونذكر منهم على سبيل المثال أبو الفضل بن العميد والصاحب ابن عباد وأبا بكر الخوارزمي وبيدع الزمان الهمداني.

كما يعتبر النثر من أهم الأغراض الأدبية التي ميزت الأدب الأندلسي، فقد نشط الأندلسيون في نوعين من النثر، فأما النوع الأول فهو النثر الأدبي الذي يقصده فنون الكتابة والرسائل الديوانية والإخوانية والوصايا وغيرها من مواضع النثر الفني.

أما النوع الثاني فهو النثر التأليفي، ولعل ابن حزم يمثل قمة هذا النثر، وما كتابه طوق الحمامة إلا صورة حية لذلك، حيث قسم كتابه هذا إلى ثلاثين بابا، منها عشرة في أصول الحب، واثنان عشر في أغراضه وصفاته، وستة أبواب في الآفات الداخلة عليه، ثم ختمه ببابين: باب الكلام في قبح المعصية والآخر في فضل التعفف.

كما ساهم أبو بكر الطرطوشي في إثراء المكتبة الأندلسية بكتابه الموسوم "سراج الملوك"، حيث تغلب على هذا الأخير الصبغة الدينية، فهو يعالج سياسة الملك، كما قدم نظريات اجتماعية كانت نتاجا لما شاهده في الأندلس من أحداث وتطورات غير عادية⁽⁷⁾؛ كما نجده من خلال مؤلفه هذا يبرز عوامل ضعف المسلمين التي أرجعها إلى اهتمام ملوكهم بجمع المال وعدم إنفاقه على الجند⁽⁸⁾.

وبعد سقوط الأندلس في يد النصارى الإسبان بزعامة الملكين الكاثوليكين⁽⁹⁾ إيزابيلا "Isabella"⁽¹⁰⁾ وفرناندو "Fernando"⁽¹¹⁾، حاولوا القضاء على معالم الهوية الإسلامية، على رأسها اللغة العربية كتابة وتخطا وتداول⁽¹²⁾، في محاولة منهم للقضاء على التراث الإسلامي الأندلسي بكل ما يحمله هذا الأخير من خصائص ومميزات، لكن بقي مسلمو اسبانيا صامدين أمام التعصب الديني والحضاري الذي مارسه عليهم محاكم التحقيق⁽¹³⁾، فابتكروا لغة جديدة اصطلح عليها في الدراسات الأدبية والتاريخية باللغة الألفميدية⁽¹⁴⁾، فكان لهم أن خلفوا بفضل هذه الأخيرة نتاجا أدبيا مهما شهد على محنتهم وتشبثهم بعروبته ودينتهم.

أ) الرسائل الديوانية:

احتلت الرسائل في كل عصر حيزا كبيرا من الاهتمام. ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى إخوانية وديوانية. أما النوع الأول منها فيمكن اعتبارها بمثابة "رسائل خاصة"، وهي لا تختلف عن الرسائل الديوانية في طبيعتها وأسلوبها. في حين اختص النوع الثاني من هذه الرسائل بمصالح الأمة وقوام الرعية؛ وهي بصورة عامة تختص بتصريف شؤون الدولة. وبهذا استطاعت أن تهيمن على كل المجالات، فهي بمثابة المرآة التي انعكست عليها هموم المجتمع.

وبما أن الإطار الزماني والجغرافي الذين نحن بصدد دراستهما تميزا بخصائص ومميزات جعلت من البحث يأخذ شكلا مغايرا، عما عهدناه في دراسات عالجت الموضوع نفسه في فترات سبقت سقوط غرناطة، فإن هذا انعكس بصورة مباشرة على كل فنون النثر وعلى رأسها فن الرسائل.

فكما ذهب إليه الباحثون أن الرسائل الديوانية تعنى بشؤون الأمة وتصدر من هيئة أو مؤسسة رسمية، فإنه في الفترة التاريخية التي نحن بصدد دراستها كانت هذه الرسائل تصدر عن قيادات وزعمات حركة الجهاد الإسلامي⁽¹⁵⁾ في اسبانيا، محاولين عبرها إيصال صرخة استغاثة عليها تجد أذانا صاغية فتلي الدعوة، وتقدم ما يمكن تقديمه من دعم معنوي ومادي وعسكري، وحتى ديبلوماسي.

ولقد احتفظ لنا النتاج الأدبي الثري الذي خلفه مسلمو اسبانيا في هذا المجال مجموعة من الرسائل الديوانية التي توجه بها أصحابها إلى أهم القوى الإسلامية آنذاك؛ ومن بين هذه النماذج نذكر الرسالة التي توجه بها قادة المقاومة الإسلامية⁽¹⁶⁾ في اسبانيا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 948هـ/1541م فجاء نصها كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله وصحبه، ويقبل مواطئ الأقدام الشريفة التي تراها، إذا مر بالعيون الرمدة ابراهما، ورحاب الأكف الكريمة التي عطاها، إذا مر بالأرض الممحلة أثرها، أقدام شاهنا السعى في الخيرات والقربات.... وأوطاء (كذا) ركابها أعناق الملحين والمتمردين، وأنعشه في كل وقت بنصروفتح مبین، نسأل (كذا) الله تعالى أن يجعله أركبا لم يزل ممتطيا مطايا السعد محفوفًا بالسعود، قطبا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه تسود، وأن يجعله دائما باقيا في درجات العز والملك إلى آخر الدهر، مصونا في حرز كنف الله الحريز، وأن يخرق له العادة بطول بقاءه وما ذلك على الله بعزيز، ركاب حضرة الجود، وواق العز الممدود، ومعدن الرافة والحنان، وما من الخائف للهفان، ومظمن أن الله يأمر بالعدل والإحسان، حضرة فخر الملوك البسيطة، كبير سلاطين الزمان، منيل أفانين الأماني والأمان، الملاذ الأعظم والثمال الأعصم، ذي العروة التي (كذا) لا تفصم، والحجة التي (كذا) لا يخصص، الذي يعترف له القاص والداني بالفضل على الإطلاق، يبيوه رتبة الأصالة والجلالة بالاستحقاق ولم لا فهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة، وحيز الفضلة السنية في من خدمة المساجد الثلاثة، وله ملك مصر وأنهارها، والشام وديارها، والحجاز وشرف مقامها، وإلى حضرته مجتمع الرفاق من الآفاق، وإليها تحج الأجسام بالرحلة والأفئدة بالأشواق، وعلى جمع الحضرة العليا لمحاسن الدين والدنيا، انعقد الإجماع والصفاق (كذا)، مولانا السلطان الملك الأشرف الأضخم الأرفع الأعرف الأعلم الأحلم الأرحم الأرف (كذا)، الأجود الأكرم الأسبح الأعطف، قانع الملحين وقاطع دابة الطغاة (كذا) والبلغات (كذا) والمردة والمفسدين، ممد طريق الحج والعمرة والزيارة، الفائز بشرف الدين والدنيا من جهاد في سبيل الله والسقاية في المسجد الحرام والعمارة، مطهر البسيطة من درن فسادها، ومطهر آيات الرأفة والرحمة في بلادها، سلطان الإسلام والمسلمين، عز الدنيا والدين وظل الله على الخليقة أجمعين السلطان بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن محمد خان، مد الله ظلال النعمة بامتداد ظلاله، وضاعف لديه مواهب إكرامه وأفضاله، وأدام نجم سعده المنير الأشراق وجعل ضده الحقيير لازم الأخفاق بشهب الأولياء مجده من مردة النفاق، جميع الأقطار والآفاق، فهو الإمام الهمام، والأسد الباسل الضرغام، الذي مهد الله تعالى بدولته البلاد، وأمن ببركة آياله في مسالكها وممالكها العباد، ومزق به ثوب الفساد، وقطع بسيفه وسانه وبادرتي قلمه الأعلى ولسانه دابر أهل العناد، فسعد الإسلام بدولته، واعتز دين الله العزيز في مدته، وخمدت نيران البغي بسعادته، وامتدت الأماني وشمل الأمان بحسن سياسته، نسأل (كذا) الله أن يصل لسيدنا ومولانا عادت (كذا) نصره وتمكينه، ويريه قررة العين في دنياه ودينه وبعد: فإن عبيدك الفقر (كذا) المساكين المنقطعين بجزيرة الأندلس وجملة عدتهم ثلاثمائة ألف وأربعة وستون ألف منهم من رسايهم بغرناطة وغيرها خمسون والباقي من عامة المسلمين، رافعين شكواهم، وما يلاقون من بلواهم باكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه ونصره لما أصبحهم من أعداء الدين وطغاة المشركين، وما هم فيه من مكابدة الكفار، ومقاسات (كذا) التضيق والإضرار، وجور أهل الشرك أثناء وأطراف النهار، وتحريقهم إيانا بالنار، قد تكالب العدو علينا ومدد السوء والضرر إلينا، وأحاطت بنا الأعداء من كل جانب، ورمونا عن قوس واحد

بسهم صائب، وطالت بنا الأيام، وعاشت فينا يد النكاية والإيلام، وخذلنا جيراننا وإخواننا ببلاد المغرب من أهل الإيمان، وقد كان بجوارنا الوزير المكرم، والمجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين، علم بأحوالنا، وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان في الجزائر، واجتمعت أهل الإسلام على إطاعة مولانا ومحبته بالخواطر والضمائر (كذا)، وانتظم العدل والشرع والأمان في البادي والحاضر، فاستغثنا به فأغاثنا وكان سببا في خلاص من المسلمين، من أيدي الكفرة المرتدين، ونقلهم إلى أرض الإسلام، وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك⁽¹⁷⁾ وشرشال⁽¹⁸⁾ ونواحي تلمسان⁽¹⁹⁾، فلما سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على منعنا بالسياسة والإهانة والحرق بالنيران، علم أننا اخترنا المصيبة في الأموال والأبدان، وأثرنا ديننا على سائر الأبدان، فلما صدقت الضمائر وبلغت القلوب الحناجر، خاف من عصبتنا واجتماع كلمتنا وتركنا أموالنا وأوطاننا وهجرتنا وفرارنا إلى بلاد الإسلام لسلامة ديننا، وتحاير في أمره، وجمع إليه أهل تديره وحزبه، فدبروا ومكروا وهل يحيق المكر السيئ إلا بأهله؟ واتفق رأيهم المعكوس، وتديرهم المنكوس، على قتال الجزائر، لئلا يبقى ببلاد المغرب لأهل الإسلام ناصر، فعاقبهم الله بعقاب أصحاب الفيل، وجعل كيدهم في تضليل، وأرسل إليهم ربح عاصف وموج قاصف (كذا)، فجعلهم بسواحل البحرين أسير وقتيل، ولا نجا منهم من الغرق القليل، والآن اشتد غضبهم على أهل الإسلام، وهم يتوسلون بالرهبان والأصنام، ونحن نتوسل بسيد الأنام إلى موجب الوجود (كذا)، الجلال والإكرام، وهم عازمون (كذا) على الجزائر، والله تعالى هلكنهم وينصر دينه وهو نعم الناصر، يا مولانا سلطان البرين والبحرين نصركم الله، المدد المدد لنصرة الجزائر لأنها سياج لأهل الإسلام وعذاب وشغل لأهل الكفر والطغيان... فترغب ونطلب من مولانا نصره الله فيما يراه من إرساله لهذا الوطن إن رأى (كذا) في ذلك فيكون ذلك غاية الاحسان لجميع أهل الإسلام وقهر ونكاية لحزب الشيطان، وقد اتفق جميعنا رفع الشكوى إلى مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام ولا زال بالعز موصوف وبالبهاء والنصر محفوف (كذا) بأن يغيثنا بارسال المجاهد خير الدين باشا (كذا) إلى الجزائر،... والسلام التام على المقام الشريف العالي ورحمة الله بتاريخ أوائل شهر شعبان أحد شهور سنة ثمانية وأربعين وتسعمائة⁽²⁰⁾

من خلال عرضنا لهذا النموذج من الرسائل الديوانية نستخلص مجموعة من الاستنتاجات، لكن قبل الوقوف عليها يجب الإشارة إلى ثلاث ملاحظات مهمة:

- الملاحظة الأولى: لقد تم عرض نص الرسالة دون التصرف فيه، إلا عند التدخل من أجل تخريج بعض المدن.

- الملاحظة الثانية: تكمن في التساؤل الذي قد يطرحه البعض حول تصنيف الرسالة من حيث هي اخوانية أو ديوانية؟ ذلك أن هذه الأخيرة تصدر من هيئة رسمية نحو هيئة رسمية أخرى تحمل مشاغل الطرفين قد تكون سياسية أو اقتصادية أو دبلوماسية. والمشكل الواقع في هذه الرسالة أنه لم يتبين لنا الطرف المرسل للرسالة، بينما نجد إشارة واضحة وجليّة للطرف المرسل إليه. والسبب في ذلك يعود في تخوف مسلمي اسبانيا من وقوع الرسالة في يد السلطات الاسبانية التي كانت تراقب تحركاتهم، ففي حالة الإشارة إلى أسماء، أو منطقة معينة قد تؤدي بكل سكانها إلى عقاب آخرته الموت حرقا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن هناك الكثير من المصادر⁽²⁰⁾ والمراجع أكدت على وجود نظام "الجماعة" الذي كان يترأسه مجلس شورى يضم فقهاءهم وأعيانهم.

- الملاحظة الثالثة: تتضمن الدوافع التي كانت من وراء عرض معظم ما ورد في نص الرسالة، حتى وإن أخذ حيزاً كبيراً، وهذا ليس من باب الحشو أو الاطناب، وإنما للضرورة العلمية المتمثلة في إبراز أهم خصائص ومميزات الرسائل الديوانية التي سادت العصر؛ وكذا التأكيد على الأهمية التاريخية للوثيقة.

ومن خلال الملاحظات السابقة وقراءتنا المركزة للرسالة، يمكننا الخروج بعدد من الاستنتاجات حولها، وكالاتي:

- دونت الرسالة باللغة العربية، تخللتها بعض الأخطاء اللغوية (النحوية والإملائية) ⁽²²⁾، كما لا يمكن وصفها بالعربية الجيدة، وذلك لما آلت إليه اللغة العربية من تدهور لما لاقته من مشاريع المسخ والاجتثاث.
- تميزت الرسالة بوجود معاني وألفاظ تدل على الولاء والطاعة للخلافة العثمانية، واعتراف صريح بتبعية لهم ⁽²³⁾.
- استعمال الكثير من العبارات والألفاظ الدينية ⁽²⁴⁾، رمزا على تشبث مسلمي إسبانيا بمقومات شخصيتهم الإسلامية رغم كل وجوه التنكيل والاضطهاد الممارس عليهم من طرف السلطات الإسبانية - السياسية والدينية - وورود بعض التسميات السياسية ⁽²⁵⁾.
- تميز أسلوب الرسالة بوجود خصائص ميزت الرسائل الديوانية، " فالدراسة الفنية للرسائل الرسمية تتمثل في بنيتها النموذجية، وفي الأسلوب". فهذه البنية تتشكل من عناصر أهمها:
 - المقدمة: تميزت بالطول والإطراء. واشتملت على البسلة والصلاة على أشرف المرسلين: كما ارتكزت على مدح الخليفة العثماني والتعريف بفضائله، وإظهار محاسنه، وإبراز فضله على الرعية، وإظهار الطاعة له والولاء والتبعية، والتنويه بخصاله الحميدة، والدعاء له بالخير والنصر، مستعملين في ذلك المحسنات اللفظية المتمثلة في الجناس.
 - العرض: أرخت هذه الوثيقة التاريخية لكثير من الأحداث مست الساحة الداخلية - إسبانيا - والساحة الخارجية - الجزائر على وجه الخصوص -. فمن خلالها حاول كاتب الرسالة سرد وقائع الحرب الدائرة رحاها بين إسبانيا والجزائر، على أساس أن هذه الأخيرة كانت الممثل الشرعي للخلافة العثمانية على مستوى غربي البحر الأبيض المتوسط.
 - الخاتمة: انتهت بعبارة " السلام" وتقديم لتاريخ الرسالة بالتقويم الهجري.

من خلال هذه الدراسة النقدية للرسالة اتضح أنها رسالة ديوانية إذ حملت مشاغل الجماعة المسلمة في إسبانيا أناب عنها زعماءها وممثلوها الشرعيين إلى السلطان العثماني ⁽²⁶⁾، ضمن سياقاً خاصاً عكس بطريقة جلية المستوى الديني والفكري الذي تميز بها مسلمو إسبانيا؛ كما عكس أيضاً مستوى الوعي السياسي الذي تمتع به هؤلاء في ظل الرهانات التي فرضت عليهم نموذجاً خاصاً من مساهمة الأحداث.

ب- الرسائل الإخوانية:

تقتل الرسائل الإخوانية ذلك اللون المتبادل بين الكتاب بعيدا عن الطابع الرسمي، أو يعالج أغراضا تحمل الطابع الذاتي من تهنئة وتعزية، شكر أو اعتذار، وعتاب، أو توضيح مسألة؛ وما إلى ذلك من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فهي بذلك تعكس جانبا مهما من الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية.

سعى هذا النوع من الرسائل من حيث الوظيفة إلى تحقيق التواصل بين الناس فكريا، مثلها مثل أي ابداع أدبي يسعى إلى تحقيق عدد من الوظائف أهمها: الوظيفة البلاغية، التعبيرية، والانفعالية⁽²⁷⁾. وبلاذ الأندلس مثلها مثل بقية دول العالم الإسلامي عرفت نشاطا ملحوظا في هذا المجال، وبقيت كذلك حتى اللحظة الأخيرة لسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م؛ ولأن الفترة التي تلت سقوطها كانت بمثابة تحول جذري مس كل المجالات، فكذلك تأثر النثر العربي الإسلامي بكل أشكاله لما عانت اللغة العربية من محاولات مستمرة لاقتلاعها واجتثاثها من أرض الأندلس الشهيدة.

ومع هذا بقي مسلمو اسبانيا يجتهدون في إيجاد سبل تمكنهم من وضع أسس للتواصل الثقافي مع محيطهم الخارجي سواء على الصعيد الإسلامي أو النصراني، ذلك أن هذا التواصل سيسمح لهم من التنفيس عما كان يجول في صدورهم من أسى وألم على المحن التي تتالت عليهم منذ عشية استسلام غرناطة وإلى غاية ساعة الطرد النهائي⁽²⁸⁾ في الفترة الممتدة من سنة 1018هـ/1609م إلى غاية سنة 1025هـ/1614م.

فقد مثلت الرسائل الإخوانية سبيلا من بين السبل التي وجد فيها مسلمو اسبانيا متنفسا لمصائبهم ومحنتهم، إذ عالجت هذه الرسائل مثلها مثل أي نتاج فكري مختلف القضايا الهامة التي كان يعيشها المسلم بإسبانيا الكاثوليكية؛ مع الأخذ بعين الاعتبار بأن عملية البحث عن مثل هذه الرسائل في التراث الفكري الذي خلفه مسلمو اسبانيا قد يكون صعب المنال، ومع هذا حاولنا إيجاد تقارب بين ما جادت به مختلف المصادر والمراجع، وما حملته الرسائل الإخوانية من مميزات وخصائص.

ومن بين الرسائل الإخوانية التي احتفظت لنا بها بعض المصادر التي عايشت الحدث التاريخي عن قرب تلك التي كتبها أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي⁽²⁹⁾ إلى سلطان المغرب الأقصى مولاي أحمد بمراكش بتاريخ "أول عام ثمانى عشرة وألف من الهجرة"⁽³⁰⁾ فورد فيها ما نصه:

"قد علمت ما صنع، وعمل مع النصارى الجدد الاندلس أهل تلك السلطنة، وقشتالة على طول السنين الكثيرة الماضية مع التحريض، والارشاد لاثباتهم في ديننا المجيد وايماننا. ولا نفع معهم قليل ولا كثيرا لانه لم يجد فيهم واحد من هو نصراني حقيقة. والغرر والشر الذي يمكن ان يحدث بسبب ما تعاملنا عليهم، قد ذكره الينا رجال وصلحاء، وانه لزمنا اصلاح ذلك الامر، لنرضى به الله، ونزل غضبه من اجل الامة، ... وأيضا بعثوا لاعدائنا البحرية بالجهة الشمالية التي تحت القطب، وأنعموا انهم يعينهم بسفونهم. وأما سلطانا صطبول قد اصطلح مع السلطان الفرس، لأنه كان يشغله، وإذا اتفقوا جميعا مع هؤلاء نرو نفوسنا في الامر الذي لا يخفى. وللقيام بما لزمنا من حفظ مملكتنا، ودفع ما يعرض لها..."⁽³¹⁾

من خلال وضع مقارنة بسيطة وسريعة بين الرسالة الاخوانية والديوانية التي تم عرضها سابقا نجد أنها اختلفت كثير عنها من حيث البنية النموذجية، بافتقارها لعدة عناصر شكلت فارقا واضحا بينهما، ومكنتنا من التأكد من صحة ما ذهبنا إليه عندما قررنا أن الرسالة المعروضة تصنف ضمن الرسائل الديوانية.

كما استنتجنا من خلال عرضنا لهذا النموذج من الرسائل . الاخوانية . التي تمت بين أحد مسلمي اسبانيا المدعو أحمد بن قاسم الحجري وسلطان المغرب الأقصى مولاي أحمد تبين أنه حتى من خلال المراسلات الشخصية التي كانت تتم بين مسلمي اسبانيا مع أحبهم وأصدقائهم من الدول الإسلامية كانت تحمل بين طياتها همومهم وانشغالاتهم بمصيرهم المجهول الذي أخذ يتبلور إلى نهاية مأساوية، تمثلت في طردهم واجتثاثهم من وطنهم الأم.

ج- رسائل المناظرات:

تعتبر المناظرات أحد أروع إنتاجات الفكر والمنطق، وأفضل الوسائل للإقناع أو الرد، لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى فهم الأفكار بشكل أفضل حين تتعرف على نقيضها، فلولا الظلام، لما عرف معنى النور، ولولا الشر لما عرف معنى الخير، وهذا هو تماما جوهر المناظرات، التي تبنى أساسا على الإقناع بصحة الرأي.

فقد كانت المناظرات ومازالت أحد أقوى سبل الإقناع بالمحاورة، وتعد من أفضل طرق الشرح حيث يتوفر فيها جانب جذب انتباه المتلقين، إضافة إلى وضوح الأفكار بسبب عرض الشيء ونقيضه، وكذلك رغبة كل طرف في الدفاع عن رأيه أمام خصمه مما يدفعه إلى بذل أقصى ما بوسعه ليحقق الانتصار لفكرته. فرسائل المناظرات هو نوع من الفنون الأدبية التي نشأت في بلاد المشرق وبلغت أوج ازدهارها في الأندلس؛ وهو فن أدبي ثري برع فيه عدد من كتاب الأندلس على درجة من التفاوت والتأنق⁽³²⁾. وابتكروا موضوعات جديدة مستحدثة على أيديهم لم تكن معروفة لدى كتاب المشرق.

وهذا النوع من الرسائل يقوم على المجادلة بين شخصين، يدلي كل واحد بحججه وبراهينه ليثبت تفوقه على الآخر، معتمدا في ذلك على رصيده الثقافي ومخزونه التراثي من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتراث الإسلامي؛ ويعنى صاحبها بطرح مجموعة من الأدلة والجدل والحوار داخل إطار من الفلسفة والمنطق والاستدراك، وغرضه في ذلك إظهار براعته مستفيدا من ثقافته، وقدرته على الصياغة والاستدلال.

من خلال هذه الجزئية سنحاول القاء الضوء على الرسائل التي شملت المناظرات ذات الطابع الفكري. لأنها عبرت عن الجانب الفكري والديني في اسبانيا، كما أكدت نزعة مسلميها إلى التمسك بأصالتهم، والدعوة إلى الاهتمام بتاريخهم وثقافتهم في وقت كانت فيه الحوادث الخطيرة والهزات العنيفة تهدد هذه الشخصية بالزوال.

ولأن الظروف الاستثنائية التي سادت اسبانيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجريين الموافق للقرنين السادس والسابع عشر ميلاديين لم تكن لتسمح بممارسة أي نوع من أنواع الحرية الفكرية،

فقد حاول مسلمو اسبانيا مناقشة أفكارهم العقدية عن طريق مراسلات جمعتهم ببعض النصارى في بلدان إسلامية وأخرى أوروبية.

من بين النماذج التي قدمتها لنا بعض المصادر التاريخية حول هذا النوع من الرسائل نذكر هذه الرسالة التي كتبها المدعو "مولينا" Molina "الغرناطي إلى أحد سكان مدينة "تروخيلو" Trujillo "الاسبانية" دون جيرونيمو دي لويزا" Don Geronimo de Loaysa "جاء نصها كما يلي⁽³³⁾:

" لتعتقد فضيلتك أن الطرد لم يكن من عمل ملك اسبانيا، بل هو ناتج عن وحي إلهي . فلقد رأيت هنا بالفعل تكهنات ترجع إلى أكثر من ألف سنة تنبئ بما سوف يقع لنا: وكنت أقرأ فيها بأن الله سوف يخرجنا من بلادكم ومن أجل ذلك سوف يغرس هذه الفكرة في عقل الملك وعقول مستشاريه، وأن عددا كبيرا من ذويتنا سوف يهلكون برا وبحرا، وباختصار كل ما حدث فعلا كما تنص هذه التكهينات على أن الله سوف يأخذ على حسابه أقل إهانة تصيبنا وسوف يبعث ملكا يفرض ، بكلمة الله وحدها، سيطرته على العالم كله، وتعجز عنه الحصار والمدافع ، وهناك أشياء أخرى كثيرة لا أريد أن أذكرها هنا لكي لا أطيل . كما رأيت تكهنا آخر لمنجم بلنسي وقع نقله من بلنسية في السنة نفسها⁽³⁴⁾ . إذن إن هذا الطرد هو معجزة حقيقية، فهو طرد لخرفان وديعة، كادحة ومجردة من السلاح من قبل الذئاب الجشعة. ولكن صدقني، إنني لا أكتب هذا تحت الانفعال الناتج عن صدمة الإهانة، وإنما بنفس العقلية، كما لو كانت في اسبانيا، فلم يجبرنا هنا على القيام بأي عمل روحي أو مادي مخالف لما كنا عليه، وسوف أكون مسرورا لو قرأتكم تكهنات القديس إيزيدور (Saint-Isodore)"⁽³⁵⁾

من خلال هذا النص حاول المسلم باسبانيا اثبات هويته تجاه النصارى بإثبات شخصه ككائن متعلق بالدين أساسا، فيضع قدره في مخطط مقرر سلفا من عند الله لصالح مجموعته، وحتى لو بدا له بأن المظاهر هي التي تثبت أن العدو هو المسير للأحداث والصانع للتاريخ، فلا بد من تجاوز هذه النظرة السطحية للأحداث؛ فالطرد ليس بانتصار فليب الثالث، وما هزيمة المسلمين إلا لحظة من لحظات المحن الضرورية التي نبأت بمستقبل ملؤه الأمل فأمام الخوف الشديد المرتبط بالظرف (الحاضر)، نتج التكهن لحركية جديدة؛ فالرؤية التاريخية للمسلم باسبانيا تبدو في حلقيتين.

فأما الأولى فتتجلى في قرن المحن وسط المجتمع النصارى: أما قيمة هذه المحن، فتتمثل في عملية الطرد وظروفه المأسوية؛ لكن منذ تلك اللحظة بدأت الحلقة الثانية أي إقامة مسلمي اسبانيا بالأراضي الإسلامية، وسوف تتجلى هناك بكل وضوح هويتهم، ليس فقط ببعدها عن الضغط، بل وأيضا بفضل الانتصار النهائي على النصارى بعد تصادم جديد؛ وسوف يبعث الله ملكا يسيطر على الأرض كلها.

كما نلاحظ تأثر صاحب النص بالتكهن النصارى الذي كان ظاهرة متفشية بينهم، فبالإضافة إلى ما ورد في هذا النص نذكر أسطورة ذلك الرجل الذي ظهر قبل أكثر من مائتي سنة في أوروبا وألمانيا وذهب إلى الكنيسة ودرس في الفاتيكان يسمونه "انوستردامث" هذا الأخير كتب كتابا يتنبأ فيه بأحداث، وزعم أن ما تنبأ به ليس مجرد أخبار وآراء أو تنجيم وكهانة، إنما فيه أيضا من نور النبوة والوحي- على حد زعمه-، ويحتمل أن يكون قد أخذ الكثير مما ذكره عن كتب المسلمين الذين استندوا إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تطرق من خلالها إلى وصف بعض الفتن والملاحم التي ستحدث مستقبلا.

من خلال عرضنا لبعض النماذج من النثر الأدبي حتى وإن لم نخط بكل أنواعه يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها:

- عمل مسلمو اسبانيا على التعريف بمحتهم والتأكيد على صمودهم من خلال مختلف الرسائل التي كتبوها وتركوها كتراث أدبي وفكري لمجموعة بشرية كتب عليها الاستشهاد في ظل الرهانات الدولية السائدة آنذاك.

- من خلال هذا النتاج الفكري تمكن مسلمو اسبانيا من إظهار مدى قدرتهم على الابداع حتى في ظل الأوضاع أقل ما يمكن وصفها بالمأساوية، في حين أكدت معظم الدراسات التاريخية والسيولوجية أن انعدام الاستقرار السياسي، يؤثر بشكل مباشر وسلي على كل ابداع فكري.

- عمد مسلمو اسبانيا على تقديم هذا النتاج الأدبي حتى يكون حجة صارخة ووثيقة تاريخية تؤكد صمود هذه الجماعة المسلمة في وجه النصرانية الكاثوليكية بكل ما تحمل هذه الأخيرة من عناصر ومكونات، حتى وإن كلفهم ذلك الموت حرقا.

2- التاريخ وأدب الرحلة:

إذا تتبعنا حركة الدراسات التاريخية في الأندلس، نجد أن الأندلسيين اعتنوا أكثر بكتابة التراجم، فقد نشطت حركة التأليف في هذا المرحلة نشاطا كبيرا خاصة في عصر الطوائف. فقد حظي التأليف في التاريخ والتراجم باهتمام وعناية بالغين من طرف الأندلسيين، فظهر فيهم مؤرخون لامعون استطاعوا أن يمدوا حركة الدراسات التاريخية بالكثير من الجهود العلمية أمثال ابن أبي الفياض⁽³⁶⁾، الذي عمل على تكوين الحس التاريخي والاستماع إلى الروايات وتقصي الحديث، كما حرص على الإسناد، ومن بين تأليفه "كتاب العبر" الذي هو كتاب تاريخي بالأساس، لم يبق منه سوى قطعة صغيرة مخطوطة ونصوص متفرقة⁽³⁷⁾، احتفظ بها بعض المؤرخين المتأخرين في مؤلفاتهم.

وسار على دريهم الكثير من المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة، فحاولوا التعبير على مكنوناتهم ورسم مسار محتهم بالتاريخ لنضالهم الطويل وصمودهم المدهش أمام كل المحاولات لمسح هويتهم الإسلامية؛ كما حاولوا تحفيز اخوانهم بضرورة التمسك بفكرة الجهاد الإسلامي المسلح الذي يعد سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده صحابته الكرام، رضوان الله عليهم، وذلك عن طريق رصد غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، تأكيداً منهم على فرضية الجهاد المسلح ضد الكفار هذا من جهة، ومحاولة منهم لإقناع أنفسهم بتأييد الله سبحانه وتعالى إن هم أخلصوا له النية.

كما عمد البعض منهم على تدوين رحلاتهم بما اصطلح عليه عند المختصين بـ "أدب الرحلة"، سواء كانت هذه المؤلفات تعرض حياة هؤلاء في المواطن التي استقروا بها بعد فرارهم من اسبانيا، أو بعد عملية الطرد النهائي. كم نجد في البعض من هذه المؤلفات عرض تفصيلي وجغرافي لطريق الحج الذي اعتمده البعض من مسلمي اسبانيا لأداء فريضة الحج.

أ - التأريخ لمواطن استقرارهم:

اهتم مسلمو اسبانيا بتدوين مسار محنتهم، وكشف حقيقة الكنيسة⁽³⁸⁾ الكاثوليكية، التي لم تكن سوى أداة فتاكة للقضاء على كل ما يعارضها أو ينافسها، على رأسها الدين الإسلامي. فقد احتفظت لنا بعض المخطوطات الألفميدانية والعربية على حد سواء ابداعات مسلمي اسبانيا في هذا المجال؛ ومن خلال هذه الجزئية لنا وقفة مع بعض النماذج منها مع الأخذ بعين الاعتبار بأن محاولة كهذه تحتاج إلى أن تكون بحثاً قائماً بذاته.

فمن بين النتاج الفكري الذي خلفه مسلمو اسبانيا نذكر المخطوط الذي ألفه صاحبه بغية التعريف بتاريخ هجراتهم، والمناطق التي استقروا بها، وكيف كان لهم المقام في مواطنهم الجديدة⁽³⁹⁾، وهل استطاعوا أن يتأقلموا مع أوضاعهم الجديدة، فلنا وقفة مع بعض النصوص من هذا المخطوط الذي ضم بين صفحاته تفاصيل قد تكون إجابة على كل هذه التساؤلات.

ف نجد في المخطوط نصوصاً استهدفت عرض الصفحات السوداء لعمل محاكم التحقيق؛ كما يعرض صاحب المخطوط التفسير الإسلامي لقرار الطرد الذي صدر سنة 1018هـ/1609م كحكم سماوي أتى ليمنح مسلمي اسبانيا حريتهم.

كما عرض المخطوط معلومات مهمة حول الولي الصالح "سيدي بولغايز أبو الغيث القشاش"⁽⁴⁰⁾ الذي رأى أنه كان من واجبه الدفاع عنهم من غضب التونسيين الجنوبي⁽⁴¹⁾، الذين استأؤوا كثيراً من أطفالهم الذين كانوا يرموا بالأوساخ في الزاوية التي أسكنوهم فيها⁽⁴²⁾. ويذكر الرافي بصورة تكاد تكون حرفية نص دفاع "سيدي بولغايز" الذي قال عنه بهذا الصدد: "لو عرفت البناية من زارها لابتهجت ولقبلت آثار خطواتهم ولتهفت: مرحبا بكم أيها القوم الكرام النبلاء"⁽⁴³⁾.

أيضاً نقل لنا صاحب المخطوط بدقة سياسة الحكم العثماني في تونس على عهد عثمان داي⁽⁴⁴⁾ في الفترة الفاصلة بين 996-1019هـ/1593-1610 بمساعدة "سيدي بلغايز". كما فصل في سرد الامتيازات التي منحها حاكم تونس لهؤلاء المهجرين⁽⁴⁵⁾ فكتب يقول في الموضوع: "... وأعطى الداوي المورسكيين من دفع الضرائب خلال السنوات الأولى لنزولهم بتونس وترك لهم أيضاً من ناحية أخرى حق اختيار مكان إقامتهم بوطنهم الجديد الإسلامي..." فكان التونسيون الجدد، حسب قول صاحب المخطوط "جنوداً دون رواتب خاضعة للسلطة التركية"⁽⁴⁶⁾.

وفي مقام آخر نلاحظ وصفاً دقيقاً للاحتفاظ بحق اللجوء الذي قرره كل من عثمان داي و"سيدي بلغايز" للأندلسيين المطرودين فكتب يقول "... في أرض الإسلام تلك استقبلنا كل من عثمان داي ملك تونس الذي كان شديد التواضع إلى حد أننا اعتبرناه لقمة سائغة واستقبلنا سيدي بلغايز بروحه الطيبة وقد حاولوا جميعاً حسن معاملتنا مقدمين لنا الهدايا بكل حب وصدقة"⁽⁴⁷⁾. وتراجع عثمان داي عن عادة دفع مائه إسكودول لكل مركب يرسى بالميناء جعلها بغية خلق روح المنافسة بين أصحاب المراكب...⁽⁴⁸⁾

وأضاف مؤكداً بأنه في هذه المدينة تركت لهم حرية اختيار مكان استقرارهم مرغماً البعض منهم على اختيار المهدية⁽⁴⁹⁾، كما تم تموينهم بالقمح والشعير والأسلحة. ولم يكن ذلك ليدهشهم نظراً لما عرف به الداوي عثمان من كرم وشجاعة⁽⁵⁰⁾، فكتب ما نصه: "فقد علمت من أحد خلائه ما قاله له الملك وهو ملازم فراشه: عندما أشفي يجب أن نذهب معا إلى كل تلك الأماكن ونقدم لهم ما قد يحتاجونه". كما أعفاهم من دفع الضرائب لمدة ثلاث سنوات، وهذا دليل آخر على توفير الظروف الملائمة والحياة الكريمة لهؤلاء المهجرين⁽⁵¹⁾.

من خلال عرض مختصر لبعض النصوص التاريخية الواردة في المخطوط نلاحظ وصفاً دقيقاً لمجريات الأحداث التي عاشها مسلمو إسبانيا أثناء استقرارهم بإحدى دول المغرب - تونس -: كما أرخ بطريقة غير مباشرة للسيرة الذاتية للداوي عثمان والولي "سيدي بلغاز". وبهذا يمكننا القول بأن مسلمي إسبانيا حاولوا نقل تفاصيل حياتهم في موطنهم الثاني بعدما حرموا وطردوا من موطنهم الأم.

ب- قراءة تاريخية في مؤلفين - عربي وألماني -:

خلف مسلمو إسبانيا، ضمن سجلهم الثري، نتاجاً أدبياً آخر، لم يلتفت إلى هذا الأمر، سوى ليصر على تمحوه حول ذاته الخاصة وتوقعه فيها؛ تشبهاً منه بهويته المهددة. فقد سبق وأن ذكرنا بأن الأدب الأعجمي⁽⁵²⁾ أو الألماني قد استجاب في أصله إلى هذه الاستراتيجية التي أملت عليه سياقات وجوده التاريخية، المتميزة باضطهاد السلطات الدينية والسياسية الإسبانية له ولأهله، ومراعتها على اجتثاثهم عن هويتهم واستيعابهم في هويتها والقضاء المبرم عليهم.

على هذا الأساس ووفقاً لهذه المعطيات حاولت الفئة النخبية أو المثقفة إن صح التعبير أن تدون تاريخها حتى لا تتركه لغيرها فيكتبه بالطريقة التي تحفظ له وجهه مائه، آخذين بالنظرية التاريخية التي أكدت على أن تاريخ الأمم والشعوب يناله التشويه مرتين: الأولى عندما يكتبه الغالب، والثانية عندما يكتبه المغلوب، فيعكس الاثنان الوجه ونقيضه في صورة الحدث الواحد. إلا أن التشويه الأهم يحدث عندما تقبل هذه الصيغة أو تلك بلا مساءلة، والأسوء من الثلاث أن تترك الشعوب للشعوب الأخرى كتابة تاريخها، ثم تعود فتقبله وهي في حال من الانهيار على أنه تاريخها الفعلي فيما هو حقيقة إعادة هندسة التاريخ.

هذا ما سوف يتأكد لنا من خلال دراسة استقرائية لنتائج الفهم وأبدعا فيهما رجلان مسلمان عايشا الأحداث ووقائعها فأرادا أن يكون عملهما رسالة إلى محيطهم الخارجي بشقيه الإسلامي والأوروبي، هذا من جهة، كما أرادا تدوين مأساة الأمة الأندلسية الشهيدة التي عرفت أول تصفية عرقية ودينية عرفتها البشرية بالصورة التي طبقتها عليها السلطات الإسبانية.

وقد وظفنا في تقديمنا لهذا العنصر عبارة (دراسة استقرائية)، ذلك أن العاملين لم يكن موضوعهما الأساسي التدوين التاريخي، وإنما الأول والموسوم بـ "ناصر الدين على القوم الكافرين" لصاحبه "أحمد بن قاسم الحجري" كان عرضاً مميّزاً لمجادلات ومناظرات وقعت لصاحب المؤلف مع اليهود والنصارى، كما كان وصفاً جغرافياً لأهم المدن التي استقر بها المؤلف؛ إذ أن النصوص التاريخية التي سيتم عرضها، هي نتاج قراءة متأنية بين الكم الهائل من المعلومات الخاصة بالجدال الإسلامي.

في حين سيكون المخطوط الثاني الذي سيكون أيضا نموذجا للإبداع والتأليف هو لصاحبه " إبراهيم غانم" والذي أسماه " العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله ". كتبه باللغة الألفميدية، وترجم له باللغة العربية أحمد بن قاسم الحجري. فمحتوى المخطوط كما يتبين مباشرة من عنوانه هو نتاج علمي اختص فيه مؤلفه بالتعريف بآلات الحرب وكيفية صناعتها، وصيانتها، والعمل عليها. ولهذا فالمعلومات التاريخية في هذا المخطوط ستكون في سياق الحديث عن الموضوع الأساسي لتأليفه هذا.

- قراءة في مخطوط باللغة العربية : من خلال هذه الجزئية لنا وقفة مع مصدر يعتبر من أهم المصادر التي أرخت للمحنة الأندلسية، فصاحبها كان شاهدا على أحداثها، وكل مؤرخ يدرك مدى أهمية المعلومات المستقاة من مثل هذه المصادر؛ فهي تقدم لنا صورة تفصيلية حول الوقائع، التي قد تسد عدة ثغرات في أي بحث يحاول تسليط الضوء على فترة من فترات أمة من الأمم.

هذا التقديم نخص به شخص المدعو "أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي" الذي جعل من كتابه الموسوم بـ "ناصر الدين على القوم الكافرين"، شهادة حياة على عصره. فبالرغم من كونه اهتم أكثر بالمناظرات والجدال مع اليهود والنصارى، إلا أنه يلقي من خلاله أضواء جديدة على بعض ما عرفته منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط من أحداث خلال القرن السابع عشر. كما يجعلنا نتعرف من خلاله على بعض مظاهر النهضة الأوروبية، التي كانت نتاجا في رأيه علما التقدم العلمي والتقني والعمراني والاكتشافات الجغرافية التي وصل إليها العالم الأوروبي.

ومن بين النصوص التاريخية الواردة في المؤلف والدالة على الوحشية التي اتسمت بها محاكم التحقيق قوله: "...واذا ظهر على احد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي: يحرقون بعضهم كما شاهدت حالهم اكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها..."⁽⁵³⁾

أما حول تحريم السلطات الاسبانية لتداول اللغة العربية بين مسلمي اسبانيا تخاطبا وكتابة وقراءة فكتب حول الموضوع ما نصه: "...وكننت احضر معها، ولم يظهر للنصراني اني نقرأ العربية لما كانوا يحكمون فيمن ظهر عليه ذلك..."⁽⁵⁴⁾ ثم أكد المعلومات نفسها في مقام آخر بقوله: "... قال لي: القسيس الكبير أمر أن تمشي معي الى حضرته، قلت في نفسي: كيف الخلاص والنصارى تقتل وتحرق كل من يجدون عنده كتابا عربيا أو يعرفون أنه يقرأ بالعربية..."⁽⁵⁵⁾

كما أرخ أحمد بن قاسم لمسألة طرد مسلمي اسبانيا، فكتب بهذا الصدد يقول: "...ثم ثبت في المملكة مولانا زيدان ابن سلطان مولاي أحمد. رحمهما الله تعالى. وفي أيامه أمر السلطان النصراني ببلاد اشبانية. اعني بلاد الاندلس. المسمى بفليب الثالث. من اسمه. باخراج جميع المسلمين من بلاده، وابتداء ذلك كان لسنة ثمان عشرة وألف. وآخر من خرج منهم كان عام عشرين وألف. وكان الأندلس يقطعون البحر في سفن النصارى بالكراء..."⁽⁵⁶⁾

أيضا أبدى أحمد بن قاسم اعجابه وافتخاره بالعثمانيين فأرخ شهادته هذه بقوله: "...وكل واحد من السلاطين النصارى يرتعد ويخاف من سلاطين العظماء العثمانيون التركيون. وقد تقدم لنا ذكر ما رأيت وفهمت من النصارى في بلادهم من الخوف العظيم الذي في قلوبهم منهم. ورأوا ملوك النصارى أنه يليق

بهم صحبتهم على وجه اللين واللفف، حتى ان كل واحد منهم يبعث رسوله ليقعد على الدوام والاستمرار في القسطنطينية العظمى يطلب منهم الصلح والرضى عنهم وهم . نصرهم الله . وخذ ملكهم، وجعل النصرارى والكفار الاعداء تحت أقدامهم لا يبعثون رسولا لكافر على وجه القعود في بلادهم، وصح أن سلطان اشبانية . هي بلاد الأندلس . أراد أن يبعث رسولا للقعود مثل سائر ملوك النصرارى ولم يقبلوه، ولما تحققوا من عداوته للإسلام، وغدره فيما مضى، مما صدر منهم مع سلطان الهنود المغربية بمدينة ميشق⁽⁵⁷⁾ المسمى متشمة⁽⁵⁸⁾، اذا مشوا اليه بهدية، وقتلوه⁽⁵⁹⁾.

كما سجل أحمد بن قاسم شهادته الحية حول الحق والبعض الذي كان يكنه لإسبانيا بكل ما تمثله من مؤسسات سياسية وعسكرية ودينية وحتى مدنية فكتب حول الموضوع ما نصه: " والعهود التي عاهد المسلمين الأندلس حين أخذ بلادهم، ثم نكمتها، وأن حين أمر على الأندلس بالخروج من بلاده كل من علم به أن يمشي الى بلاد المسلمين أخذ لهم الأولاد، كل من أقل من عشر سنين أو نحو ذلك... ولم يكن لسلطين المسلمين أعداء ولا أضر من سلطين اشبانية.."⁽⁶⁰⁾

ما يلاحظ على محتوى الكتاب أنه عكس الأحوال العصبية التي كان يعيشها أفوقاي وإخوانه؛ إذ جرى تنصيرهم قهرا، أما عن مستواه اللغوي فقد كان ضعيفا، وذلك نتيجة تحريم السلطات الاسبانية لاستعمال اللغة العربية، وتجريمها لكل من اكتشف عمال محاكم التحقيق استعمال أحدهم للغة العربية سواء تخاطبا أو كتابة أو قراءة؛ فاللغة التي كتب بها أفوقاي هي اللغة العربية لكونه ألف كتابه في مناخ إسلامي بعد خروجه من إسبانيا، إلا أنها خضعت للنظام الصوتي الإسباني، وانتشار الأخطاء اللغوية والتراكيب الأعجمية.

وبالرغم من ذلك فهذا الكتاب يعتبر مصدر مهم للدراسات التاريخية الأندلسية، ذلك أن صاحبه كان شاهد عيان على الأحداث المؤلمة التي عاشتها الجماعة المسلمة تحت حكم الاسبان الكاثوليك فحاول طرحها بالشكل الذي كان يراه مناسبا، فعمله هذا هو بمثابة وثيقة تاريخية سجلت لنا عن قرب مآسي الجماعة المسلمة تحت الاضطهاد والتنكيل الممارسين من طرف السلطات الاسبانية .

- استنباط أحداث تاريخية من خلال مخطوط ألخميادي: يعتبر الانتاج المخطوط من أهم المصادر

التي يمكن الاعتماد عليها في البناء التاريخي لأي موضوع، فمن خلاله يستطيع الباحث تقديم صورة تفصيلية لمواقف معينة، سواء كانت سياسية، اجتماعية، وثقافية، حول حقبة تاريخية معينة، بالرغم ما يعاب على مثل هذه المصادر من أنها تمثل رأي صاحبها، أكثر مما تقدمه من تفسيرات للظاهرة التاريخية المعالجة في المؤلف.

على ضوء ما تم طرحه سنحاول التعرف عن كتب عن مدى الثروة العلمية التي قدمتها المخطوطات الألخميادية في ظل غياب الكتابات العربية التي زامت الحدث التاريخي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى في ظل طغيان الكتابات الإسبانية، التي مهما شكلت من رصيد مهم في تفسير الظاهرة التاريخية إلا أنها تحمل سموما، كونها شكلت طرفا مهما وحاسما في ذلك الصراع الحضاري القائم في اسبانيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجريين الموافق للقرنين السادس والسابع عشر ميلاديين.

بهذا الصدد سنحاول استقراء بعض النماذج من النصوص التاريخية من مخطوط الألفمياي موسوم بـ"العز والرفعة والمنافع في المجاهدين في سبيل الله بالمدافع" لصاحبه "ابراهيم غانم". فمن خلال عنوان هذا المخطوط نستنتج أنه اعتمد على الأسلوب العلمي أكثر من أي أسلوب آخر، إلا أننا سنحاول ابراز الجانب التاريخي منه.

فمن بين النصوص التاريخية الواردة بين ورقات المخطوط، عرض قوة العثمانيين ومدى قدرتهم على فرض السيادة الإسلامية على دول الأوروبية، كما أكد على اعجابه ودعمه الكامل لهم، مع عرض فروض الولاء والطاعة، فكتب ابراهيم غانم بهذا الصدد ما نصه: "سلطان سلاطين الاسلام والدين هو مولانا السلطان مراد ابن السلاطين العثمانيين رحمهم الله تعالى واعلى درجتهم في اعلى عليين سلطان البرين والبحرين ومصر والشام والعراقين وخديم الحرمين ايده الله بعزيز نصره وامده بمعونته ويسره وخلد جميل ذكره ونصره وجنوده في ذهابه وايابه بفضل اولياء الله واهل دينه وكتابه واعطاه رضى السلاطين المرحوم بكرم الله واجداده الذين اشهر الله بركاتهم في ارضه وبلاده حتى حصلت الروعة الموروثة خوفا منهم في قلوب النصارى والمشركين الكفار اهلكهم الله وافناهم واخزاهم وخذلهم ودمارهم اشد الدمار"⁽⁶¹⁾.

كما حاول تكذيب الأساطير النصرانية القائلة بقرب سقوط الخلافة العثمانية، فكتب حول الموضوع يقول: "وقد شاهدت في كثير من بلادهم وكتبتهم وتحققت من خاصتهم وعامتهم ان الخوف الذي في قلوبهم منهم لم يفارقهم في الليل والنهار وانقطع رجلهم الذي كانوا يرجونه ان الدولة العثمانية يكون انقراضها عند السادس عشر من سلاطينهم واستدلوا بذلك من قول يوحنا الحواري الذي كتب ربع الانجيل ثم كتب كتابا مرموزا يسمى يَنْفَلِبْش فتدولوا بعض رموزه على مقتضى غرضهم ومرادهم فظهر الله بالبرهان ان قولهم كان باطلا وزورا اذ هو السلطان الموجود الان ايده الله ونصره عليهم الثامن عشر من السلاطين جاز الحساب وظهر الغلط فيما تدولوه من الكتاب وايضا تقول النصارى اعنى من اكابر علمائهم ان الانجيل ثلاث بركات ظاهرة الان فالواحدة منها ابن بركاته هو يشغل الله السلاطين العثمانيين عنهم..."⁽⁶²⁾.

كما أرخ صاحب المخطوط لفترة من تاريخ تونس فكتب بهذا الصدد يقول: "تولى الامر بتونس المحروسة بالله فخر الامراء ومالك زمام الفضلا والكبر ابو المحاسن مراد داي دام الله عزه واسعد ايامه وقد ازال المناكر وغيرها ومن المشهورة منها ديار الخمر التي كانت قبل توليته ببيعته..ومن جملة ما رايت وتغيرت من اجل ذلك تغييرا كبيرا انفي الجامع السني الشهير بالبركة والثنا والذكر في الدنيا وهو جامع الزيتونة والامام يخطب والاولاد يلعبون في داخله ويرفعون اصواتهم في داخله ويرفعون اصواتهم حتى ان من كان قريبا منهم لا يفهم ما يقوله الامام في خطبته بسببهم..."⁽⁶³⁾.

من خلال هذه النصوص التاريخية المستقاة من المخطوط يتبين مدى اهتمام مسلمي اسبانيا بالتأريخ للوقائع التي عايشوها، كما عبروا من خلال نتائجهم هذا على صراعاتهم القائم مع عدوهم الاسبان ومدى تعلقهم واعجابهم وولائهم للخلافة العثمانية، التي كانوا يرون فيها حامي الإسلام، وناصر المسلمين في شتى أنحاء العالم.

ج- أدب الرحلة:

هو نوع من الأدب الذي يصور من خلاله المؤلف ما جرى له من أحداث، وما صادفته من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان. وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ ذلك أن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، تجعل من نصوصه ذات مصداقية.

وقد عرف المسلمون عموماً، والأندلسيون على وجه الخصوص أدب الرحلات منذ القدم⁽⁶⁴⁾، وكانت عنايتهم به عظيمة في سائر العصور. ويعد القرن السادس الميلادي وما يليه من أكثر القرون إنتاجاً لأدب الرحلات. وقد اقتدى مسلمو إسبانيا حدو هؤلاء، بالرغم من الظروف القاسية التي عانوا منها، والتي كانت تشكل عائقاً أمام قدرتهم على الإبداع لولا إرادتهم القوية وعزيمتهم الكبيرة على محاولة تغيير مصيرهم الذي لم يتقبلوه ولم يخضعوا له. وقد قسمنا هذا النتاج الفكري إلى صنفين: فأما الأول فسيقودنا إلى وصف دقيق لرحلة الحج⁽⁶⁵⁾ قام بها أحد مسلمي إسبانيا؛ أما فيما يخص الصنف الثاني من هذا الأدب فسيصور محوراً حول وصف بعض البلدان الأوروبية والإسلامية التي تنقل إليها البعض منهم لينقلوا لنا عبرها تجاربهم وأهم الأمور التي استخلصوها من هذه الرحلات.

فقد أجمعت كل الدراسات التاريخية التي أنجزت حول الحياة الدينية لمسلمي إسبانيا أن أداء مسلمي إسبانيا لركن الحج كان من بين أصعب أركان الإسلام التي كان يستحيل القيام به، نظراً لملاحقات ومتابعات السلطات الإسبانية لهم؛ مع هذا حفظت لنا بعض المخطوطات الأخميدادية حالات قامت بأداء هذه الفريضة بالرغم من المخاطر التي كانت تحف بهم من كل الجوانب، بداية من إسبانيا وإلى غاية خروجهم منها، انتقلاً إلى طريقهم نحو البقاع المقدسة.

ومن بين النماذج التي وصفت لنا رحلتها نحو البقاع المقدسة نذكر ال رحلة الأندلسية الطويلة، التي كتبها المدعو عبدالله بن الصباح الأصبغي الأندلسي⁽⁶⁶⁾ (من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وعنوانها ب: (منشأ الأخبار وتذكرة الأخيار)⁽⁶⁷⁾. من خلالها وصف لنا رحلته نحو البقاع المقدسة، كما ذكر كل الشعائر التي كانت مفروضة على كل حاج موضحاً ذلك ببعض الرسومات التي رسمها بخط يديه. ومن بين ما كتبه ابن الصباح في نص الرحلة نذكر: "والله لقد دخلت مكة، شرفها الله، ونحن نطوف بالكعبة الشريفة، وهل علينا الهلال ونحن طائفون بالكعبة الشريفة فلله الحمد كثيراً كما هو أهله، والحمد لله الذي سلمنا من تلك المفاوز والقفار المهلكة والجبال الوحشة، كم من حاج ينتظرونه أهله وهو قد مات على عطش! وكم من سلكها ولم يبلغ حجه، وكم من أنفق ماله ولم ينله منها شيئاً (كذا) وكم من سلطان يتمنى النظر في تلك الكعبة الشريفة ولم يرها! وكم من أمير ووزير يريد المشي ولا يحمل، وكم من يريد وصلها بالمال ولا يصل لها، وكم من مذنب يريد أن يطهر ذنوبه بالوقوف على عرفه ولا يعطى، وكم من يتمنى الوصول إليها ولا يصل، وكم من واصل إلى نصف الطريق ولم يبلغ، وكم من بلغ إلى يوم منها ولم يبلغ! وكم من زعيم بماله ورجاله ولم يصل! وكم من غني زعيم بغناه ولم ينفعه غناه! وكم من فقير آيس يبلغ! وكم من حقير حقر لفقره وبلغ مراده! وكم من أموال اكتسبت وجمعت بالقناطر المقنطرة ولم يبلغ صاحبها الموضع الشريف! وكم من قليل بلغ بالعناية من عند الله ولم يحتج إلى مال ولا إلى زاد، ولا إلى ركوب إلا حملته

العناية، ومن قال: ذلك الموضع لا يبلغ الا بالمال والجمال والزاد والرواحل، فقد نكر (كذا) نعمة الله وعنايته! بل الحامل هو الله سبحانه⁽⁶⁸⁾.

تعمدنا عرض النصين التاريخيين دون التصرف في محتواهما ولا حتى تصحيح بعض الأخطاء الواردة فيهما لإبراز مستوى الثقافة الدينية واللغوية لمسلمي اسبانيا؛ وأيضا حاولنا من خلالهما إبراز صدق المشاعر والأحاسيس التي انتابت صاحب الرحلة معبرا عن الحالة النفسية التي كان يعاني منها مسلمو اسبانيا.

أيضا من بين أهم نتائج حول أدب الرحلة ذلك الذي ألفه أحمد بن قاسم الحجري والذي لم يعثر عليه بعد، إذ صنفه الباحثون ضمن أهم مفقودات الأدب الأندلسي المتأخر. ونقصد بذلك كتابه الذي ألفه بمصر وسماه بـ "رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب".

ولقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه: ناصر الدين على القوم الكافرين، معرجا على دواعي تأليفه ومحتوياته. إلا أنه قد تم العثور على النبذة التي اختصرها الحجري بنفسه لهذا الكتاب ووضع لها عنوان ناصر الدين على القوم الكافرين. وهو السيف الأشهر على كل من كفر، هذا الأخير تم تحقيقه ونشره مرتين.

فقد وفق الحجري في مؤلفه هذا إلى أن يجعلنا نساfer معه ونرحل من الأندلس إلى مراكش، ومنها إلى فرنسا، ثم إلى هولندا، لينقلنا بعد ذلك إلى مصر، ثم إلى تونس. وبالتالي جعلنا نعيش معه مختلف تجاربه في هذه الأقطار، ونستخلص أهم ملاحظاته وتقويماته لمختلف مناحي الحياة بها. ومن بين النماذج التي وردت في مؤلفه فيما يخص تخرّج بعض المدن الإسلامية نذكر: "...مراكش، هي مدينة كبيرة وفواكهها كثيرة، وعنيها ليس في الدنيا مثله. عرضها احدى وثلاثون درجة ونصف. وطولها تسع دراج، لانها قريبة من الجزر الخالدات المسماة الآن بقنارية، ومنها ابتداء الطول..."⁽⁶⁹⁾.

أما فيما يخص نموذج من تخرّج بعض المدن الأوروبية نذكر وصفه لمدينة أمستردام فكتب عنها يقول: "...بلغنا مدينة مسترضام، رأيت العجب في حسن بنيانها، ونقائنها، وكثرة مخلوقاتها، كاد أن تكون في العمارة مثل مدينة بريش بفرنجة..."⁽⁷⁰⁾.

من خلال عرضنا لهذه النماذج لا يمكننا أن ننكر الأهمية العلمية لهذا المؤلف، إذ يعتبر من أعمدة الدراسات التي قدمت تفاصيل دقيقة حول حياة الأندلسيين داخل وخارج اسبانيا؛ فهذا الكتاب هو انجاز علمي يستفيد منها الباحث المسلم وكذا الأوربي، إذا ما أراد رسم الخطوط العريضة لحياة هذه الأقلية المضطهدة في أبسط حقوق الإنسان، وهو العيش بحرية.

الهوامش:

1. الأندلس: عبارة عن جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم إبارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدها بإسبانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري. وصف الأندلس (قطعة من كتاب صلة الصمط وسممة المرط). دروتج: أحمد مختار العبادي. المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مدريد. 1971م. ط: 1. ص: 100. وذكر آخر أن الأندلس هي جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم إبارية، وأول من نزل الأندلس وملكها وبنى بها المدن وغرس الأشجار بعد موقعة الطوفان قوم يقال لهم الأندلس ابن نفرش بن يافث بن نوح عليه السلام وعلمهم سميت الأندلس. ينظر: مؤلف مجهول. تاريخ الأندلس. مخطوط رقم: 1528. الخزانة الحسنية. الرباط. ورقة رقم: 66.
2. من الحقائق التاريخية المتعارف عليها أنّ سنة 896هـ/1492م كان تاريخ سقوط الأندلس في يد النصارى الإسبان، وبهذا التاريخ تبدأ مأساة المسلمين بضياعهم للفردوس بعد ثمانية قرون من العطاء الحضاري، مازالت بصماته واضحة في التاريخ الإنساني، لكن لابد من تصحيح بعض الأمور أو الوقوف عندها لبنين بأنّ هذا التاريخ يمثل سقوط آخر معقل من معاقل الأندلس - غرناطة - الإمارة وليس نهاية للدين الإسلامي الذي ظل معتنقه يقاومون ويدافعون بشتى الطرق والوسائل من أجل الحفاظ على مقوماته وشرائعه، وذلك منذ أول يوم من تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكين. هذا وبدأت غرناطة تعد أيامها، فتتالت المصائب والمحن على البلاد والعباد على يد أعداء الإسلام، إلى أن اضطر آخر ملوك غرناطة عبد الله الصغير تسليم المدينة إلى الملكين الذين توجأ ملوكا على كل الأندلس الضائعة خاصة وأن زواجهما كان بمثابة الضربة القاضية لآخر معقل إسلامي بالأندلس، فبينما عرف العالم النصراني التكتل والوحدة نجد بالمقابل العالم الإسلامي يعيش حالة من الفوضى والتفكك والضياع. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول موضوع سقوط غرناطة ينظر: المقرئ بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني. نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تج: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. 1988.
3. غرناطة: معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال ماثلاً على باب قصبة الحمراء، في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان. الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية). مطبعة التأليف والترجمة والنشر.. 1921. ط: 2. بلا معلومات أخرى، ص: 160.
4. تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحاً فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تتعدد أيضاً مجالات الاهتمام، ونقاط التركيز التي يولمها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. فقد قدمت تعريفات كثيرة من طرف الباحثين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، على أن كل مجال فسره وفق المنظومة الخاصة به. فالصراع في مفهومه يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة، فهو بداية يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانياً يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيمها بهذا التناقض، ثم هو ثالثاً يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبني موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقي هذه المواقف. ينظر: منير محمود بدوي. مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع. مجلة دراسات مستقبلية. مركز دراسات المستقبل (جامعة أسيوط). مصر. يوليو 1997م. العدد 3. ص: 38.
5. اعتمد كل ملوك إسبانيا الذين تدالوا على العرش الإسباني سياسية واحدة اقتضت "تطهير" إسبانيا من أي عقيدة تكون مخالفة للعقيدة الكاثوليكية؛ فقد سعوا لتنصير مسلمي إسبانيا معتمدين في ذلك على

- عمل محاكم التحقيق، هذه الأخيرة سلطت كل أنواع التنكيل والبطش بغية تجسيد هذا المشروع وبالرغم من ذلك باءت كل محاولاتها بالفشل. للإطلاع على تفاصيل أكثر حول عمل محاكم التحقيق ينظر: الزويحي بشرى محمود. محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م). دار زهران للنشر والتوزيع. الأردن. د س ط.
6. إن أغلب المخطوطات التي خلفها مسلمو اسبانيا تتموضع بشكل أو بآخر حول الدين: قرآن، حديث، حكايات إسلامية، شعر، وغيرها من أنواع الاجتهاد والإبداع الفكري. وهذا الأمر يدعونا إلى التساؤل حول مدى علاقة بروز هذا الأدب بالاستجابة لحاجة مسلمي إسبانيا في إيجاد أداة تواصل ديني مختلف عن اللغة الرومنسية المرتبطة ارتباطاً عضوياً في هذه الفترة بالنصرانية في إسبانيا.
7. عاصر طرطوشي فترة حكم ملوك الطوائف وقضى شطراً من شبابه في مملكة بني هود، ومن أبرز نظرياته أن عصبية الدولة إنما تقوم على الجند قبل المال، وأن المال وجب أن يكثر إنفاقه للاستكثار من الجند.
8. محمد عبد الله عنان. تراجم إسلامية شرقية وأندلسية. مكتبة الخانجي، مصر. د س ط. ص: 295.
9. نسبة إلى لكاثوليكية التي تعني العام أو العالمي، كاثوليك وأصل هذه الكلمة هو اللفظة اليونانية وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك: لأنها تدعي أنها أم الكنائس، ولأن أصحابها يزعمون أن مؤسسها هو بطرس ويعتبر الباباوات أنفسهم خلفاء له من بعده، وتمثل الكنيسة الكاثوليكية أكبر تجمع نصراني في العالم، ينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا، وهو أسقف روما، ومقره مدينة الفاتيكان، يساعده في تصريف شؤون الكنيسة ما يطلق عليه السفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية. وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية، ومجمع الكرادلة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي الرسولي. ينظر: بولوس وهبة. موسوعة الأديان. بلا معلومات أخرى. ص: 213.
10. إيزابيلا: ولدت إيزابيلا سنة 856هـ/1451م، وتوفيت سنة 910هـ/1504م. وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويحي بشرى محمود. المرجع السابق. ص: 42.
- Louis Cardaillac. L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne-1474_1497. Edition Aurement _ collection Memoires . P: 23.
11. فرناندو: ولد عام 856هـ/1421م. وأصبح ملكاً على صقلية سنة 1468م، ثم ملكاً على أراغون سنة 1479م، بعدها أصبح ملكاً على قشتالة سنة 887هـ/1484م ثم ملكاً على نابلي عام 910هـ/1504م. ينظر: عادل سعيد البشتاوي. الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة). المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت بيروت. 2000م. ط: 1. ص: 123. توفي في 23 يناير من سنة 1516م، وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة. ينظر: عبد الله محمد عنان. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع). مكتبة الخانجي. القاهرة. 1987. ط: 4. ص: 142.
- Rodrigo De Zayas . Les moresques et le racisme d'état et la difference . Paris. 1992. P: 82.
12. اجتهد رجال الكنيسة والساسة على صياغة النصوص القانونية التي كانت ستارة للأعمال البربرية التي كان الكتاب العربي عنواناً لها؛ فقد أقدمت السلطات الاسبانية على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامة دون وعي منها لقيمتها المعنوية أو الجمالية، وكذلك فعلت محاكم التحقيق بمقاطعة أراغون التي أقدمت على حرق آلاف من المصاحف ومختلف الكتب الأخرى. ولقد تضاربت الروايات التاريخية حول العدد النهائي للإرث العلمي والديني والأدبي الذي أحرق، فهناك من ذهب إلى أن عددهم تراوح ما بين

مليونين كتاب، فيما ذهب فريق آخر أن تعدادهم بلغ حوالي خمسة ملايين كتاب، فيما رفع الرقم فريق آخر إلى سبعة ملايين مؤلف. ينظر:

Don Francisco Javier Simomet, El cardenal Ximenex de Cisneros. y Los manuscritos abàbigos Granadinos. Imprenta de la lealtad a cargo de J. G. Garrido. Granada. 1885. P P: 6,8.

13. محاكم التحقيق : أما اختيارنا لعبارة " محاكم التحقيق " بدلا عن التسمية التقليدية " محاكم التفتيش "، فالسبب يعود إلى أن أصل التسمية هو "Inquisitio" ، من كلمة "Inquiry" التي تعني :تحقيق واستفسار وبحث . إذن، " لجان التحقيق " هي أقرب للمعنى الحقيقي منها " لجان التفتيش " ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة ، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية . وقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر خاصة العربية منها التي قامت بترجمة التسمية من اللغة الإسبانية، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها " ديوان التحقيق ". ينظر : محمد عبدالله عنان. المرجع السابق.ص:19.

14. اللغة الألخميادية: اضطر مسلمو اسبانيا إلى ابتكار هذه اللغة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم، إذ وجدوا في اللغة الألخميادية المشتقة من القشتالية - المفروضة عليهم - والعربية - المكروهين على تركها - سبيلا للتعبير عن كل ذلك، حيث اختلطت فيها ألفاظ عربية وأعجمية مختلفة من اللهجات القديمة والمعاصرة لهم لاسيما الرومانية أو اللغة اللاتينية "Latin". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: دي فوانتا سالفارو قلماس. ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو - الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي. بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات الموريسكية - الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين. مؤسسة التميي للبحث العلمي والمعلومات، تونس. 2009. ط: 1. ص: 51.

15. بعدما تأكد مسلمو اسبانيا من تعنت السلطات الاسبانية وإصرارها على تنصيرهم بكل الوسائل والسبل رفعوا لواء الجهاد المسلح دفاعا على أنفسهم ومقومات شخصيتهم الاسلامية ومن بين أشهر المقاومات المسلحة التي خاضها مسلمو اسبانيا ضد قوى الظلم والطغيان حرب البشراة. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: ميغيل أنخيل بونيس إيبارا. حرب غرناطة كما رآها القشتاليون من خلال مخطوطة لم تنشر بعد. بحث نشر ضمن: مجموعة من المقالات ضمن كتاب موسوم ب: دراسات أندلسية وموريسكية. تروتق: جمال عبد الرحمن. المركز القومي للترجمة. القاهرة. 2008. م. ط: 1. أيضا:

Marmol Carvajal, Historia. Rebellon y Castigo de los moriscos. Del rieno de de Crenada. Madrid. 1946.

16. كرد فعل طبيعي للمأساة التي كان يتخبط فيها مسلمو اسبانيا حاولت بعض الزعامات بث روح الجهاد بين مسلمي غرناطة، لكن الدعوة لم تلق أذانا صاغية بين أعيان غرناطة سوى من شخص يدعى فرج بن فرج، من عائلة بني سراج وزعيم آخر يدعى هرننده الصغير، وزعيم ثالث هو دياغه لويس بن عبو، أما الرابع فاسمه ميخائيل ديروجاش، بالإضافة إلى بعض المسلمين من منطقة البشراة، هؤلاء جميعا قرروا رفع لواء المقاومة المسلحة لعلها تحقق آمالهم وأحلامهم. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر:

Sylvie Benitez Roca. Iben Humeya et les moresques dans deux œuvres de la littérature Espagnole du XIXème siècle. doctorat de l'université : Paul Valery. Montpellier III arts et lettres langues et sciences humaine et sociales. sous la codirection : Louis Cardiallac, Décembre 2001.

17. بريشك: مدينة صغيرة تقع بين مدينتي تنس وشرشال، ولعل موقعها هذا جعلها لا تقل حظا عنهما في استقبال الأندلسيين. فقد كانت المدينة مركزا هاما لتجمعهم، فساعدوا على انتعاشها الزراعي والصناعي والتجاري. كما ساهموا في ازدهارها معماريا بتشديد المباني الأنيقة. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1998، ص: 178.
18. بعدما هجرها سكانها بسبب الحروب القائمة بين ملوك تلمسان، بقيت المدينة خالية قرابة مائة سنة إلى أن سقطت غرناطة سنة 987هـ/1492م فقصدها الغرناطيون وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، كما جددوا القلعة الموجودة بها، ووزعوا الأراضي بينهم، ثم صنعوا الكثير من السفن، كما اشتغلوا بصناعة الحرير إذ وجدوا هناك كميات لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود تعيش فيها دودة القز. ينظر: الحسن بن محمد الوزان. وصف إفريقيا. ج: 2. ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1983، ص: 34.
19. لقد تمكن العثمانيون بقيادة عروج وخير الدين من انقاد العديد من المسلمين الفارين من بطش واضطهاد السلطات الإسبانية، فكان أن استقر بهم الأمر في تلمسان حيث ساهموا بشكل فعال في تعمير وازدهار المنطقة. ينظر: يلماز أوزتونا. تاريخ الدولة العثمانية. تر: عدنان محمود سليمان. مؤسسة فيصل للتمويل. تركيا، 1988. ص: 248.
20. Azner Cardona . Explusion Justificada de los Mariscos Espanoles. Parte2. Capitulo 2. P: 91.
21. من بين هذه المصادر نذكر على سبيل المثال: الحجري أحمد بن قاسم. ناصر الدين على القوم الكافرين. تح: رزوق محمد. كلية الآداب والعلوم الانسانية. دار البيضاء. 1407هـ/1987م. ط: 1. ص: 112
22. مثلا على ذلك نذكر استعماله للمفردات الآتية: "ضماير"، "صدقة"، "أصيهم"، "إطاعة". وتصحيحا لها تكون بالشكل التالي: "ضمائر"، "صدقت"، "أصايمهم"، "طاعة"
23. من بين النماذج الدالة على ذلك نذكر: "يا مولانا سلطان البرين والبحرين"، أيضا "اتفق جميعنا رفع الشكوى إلى مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام". وكذلك هذه العبارة: "يبوءه رتبة الأصالة والجلالة بالاستحقاق ولم لا فهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة، وحيز الفضلة السنية في من خدمة المساجد الثلاثة، وله ملك مصر وأنهارها، والشام وديارها، والحجاز وشرف مقامها".
24. مثلا على ذلك نذكر تكرار استعمال مصطلح "السلطان".
25. وردت بالشكل التالي: "بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله وصحبه".
26. رد السلطان العثماني على هذه الرسالة فكان جوابه كالآتي: "وصل إلى أستانة سعادتنا عرض حاكم الذي جاء فيه أن الكفرة، دمرهم الله وأضلهم، قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من التحدث بالعربية، وأنهم يتعرضون لنسائكم ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي عليكم. وتعلمون أنه يوجد حاليا لديكم عشرون ألف رجل مسلم كما أن هناك مائة ألف رجل قادر على حمل السلاح. وعلمنا باستلامكم مقدارا من السلاح من الجزائر، وأن ذلك قد ربط على قلوبكم، وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر. فالحمد لله على نصر أهل الإسلام، وليكتب لهم الفوز الدائم على الكفار، أظلمهم الله. وقد

- عرض بالتفصيل كل ما جاء في عرض حالكم من تحريرات وتقارير على سرير سعادتنا، وأحاط علي الشريف الملوكي وشمل كل ما يتعلق بأحوالكم وأخباركم، وأن أنظاري منصرفة دائما نحوكم. ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالك المحروسة، والتي كانت على العهد والامان منذ زمان اجدادي العظام... لذا بعد التوكل والإعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والإسناد إلى المعجزات كثير البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه. وكذلك بالإستمداد بالأرواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام، عليهم رضوان الله تعالى أجمعين، (أقول هذا لا يجوز. فالتوسل، والإعتماد والتوكل لا يكون إلا على الله وحده عز وجل. ولا أحد يستطيع لنا نفعا ولا ضرا إلا الله ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أوصحابيا جليلا أو وليا صالحا. وعجبي بمن يعرض عن الله ويدعو غيره من الاموات والأحياء لكشف ضر أو شفاء مرض. فقد استقرت نيتنا الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المزمورة في الربيع الآخر القادم. ونضرع إلى عتبة حضرة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وأن ييسط أيدينا عليها حتى تؤهل لأهل الإسلام، كما كانت عليه، وكي تقام فيها شعائر الشرع الشريف، وحتى يأمن التجار في غدوهم ورواحهم، ينصرفوا للدعاء بثبات ومجد ورفع دولة. وبما ان الوضع على هذا الحال، فإن إرسال الأسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر ريثما يتم إيصال المراكب للعساكر المنصورة للجزيرة المزمورة. وسيتم ذلك إثر إنهاء الأسطول لمهمته بعناية الحق. وقد أرسل أمري الهمايوني المؤكد إلى أمراء الجزائر الذي تتجه أنظاره وأفئدته نحوكم لإرسال النجدة والمعونة لكم، إما بإرسال العساكر المظفرة أو بإرسال العدة والعتاد، وبموجب أمري الشريف فإن أمير أمراء الجزائر سيكون خير معين وظهر لكم. كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأصلة في حلبتكم عدم التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين، فلتظهروا أنواع أخدامكم وأصناف اهتمامكم في الحرب والقتال والجدال ضد الكفار الأذلاء...". ينظر: مهمة دفترى رقم 14 حكم رقم 231 بتاريخ 24 شوال عام 977هـ الموافق لـ 20-1-1569م. نقلا عن: عبد الجليل التميمي. الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين. منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات. تونس. د س ن. ص: 103.
27. شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. دار المعارف. د ب ن. د س ط. ص: 491.
28. يعد موضوع طرد مسلمي اسبانيا من أهم الأحداث التي حفلت بالتبعات على جميع الأصعدة التاريخية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية، وقد تجاوز كل هذا ليحتل مكانة كأزمة ضمير جماعي للإسبان في عصره وفي عصور لاحقة؛ فالطرد الجماعي لشعب تم تعميده قصرا وظلما ليس له سابقة في تاريخ النصرانية، وهو حدث شاذ بكل المقاييس المدنية والدينية؛ ذلك أن بتر الجماعة المسلمة من إسبانيا أدى إلى عواقب يصعب فهمها تقريبا، فهي وإن كانت تبدو جلية أمام كل شخص متأمل إلا أنها تلقي بالدهشة والذهول في نفوس كثيرين آخرين. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر:
- Azner Cardona , Explusion Justificada de los Mariscos Espagnoles , Parte 2, Capitulo 2
29. أحمد بن قاسم الحجري: ولد حوالي 980هـ/1570م في قرية أحجر (UGIJAR) إحدى قرى مملكة غرناطة، وإليها ينتسب. ولد وعاش في ظلمات محاكم التحقيق فأجاد اللغة الإسبانية، غادر الأندلس سنة (1007هـ/1598م) قاصدا مراكش حيث عمل مترجما في بلاط أحمد المنصور الذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية، ثم على عهد ولده مولاي زيدان. عرف بجذاله لعلماء اليهود والنصارى. خلال عودته من الحج استقر في تونس فكانت له صلة بأميرها العثماني الداوي مراد؛ كما تعرف هناك على أحد مسلمي اسبانيا وهو الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (أواسط ق 11هـ/أواسط ق

- 17م) الشهير بالرياش من نولش من قرى غرناطة، ألف كتابا باللغة الألفميدانية عن الجهاد بالمدافع فترجمه الشهاب إلى العربية. ينظر: عبد الله حجي. هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها). السلسلة الأندلسية. بلا معلومات أخرى. ص: 77.
30. سنة 1018هـ الموافقة لـ 1609 م.
31. أحمد بن قاسم الحجري. المصدر السابق. ص: 111، 112.
32. المناظرات: المناظرات بشكل مختصر هي تجمع لفريقين أو شخصين، غالبا في وجود جمهور من المتفرجين، يقوم كل من الخصمين بالدفاع عن وجهة نظر معينة، أو فكرة، أو رأي، أو أن يكون أحد الخصمين يسعى لإثبات الفكرة، والآخر يسعى لنفيها، ويقوم كل منهم بتأييد رأيه أو فكرته بالحجج المنطقية، والتفسيرات العلمية التي تخدمها، ويكون لكل منهما فرص متتابة في توضيح ما لديه، أو الرد على الطرف الآخر، وفي النهاية تتكون لدى الجمهور فكرة وقناعة بأحد الطرفين، إما لتغلبه بالوسائل المنطقية، أو لحسن أدائه في المناظرة.
33. لوي كاريك. ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية. تع: التميمي، ضمن السلسلة الرابعة: تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الأسبانية والعربية الإسلامية. منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. تونس. 2011. ص: 129.
34. حدث ذلك بتاريخ 25 جويلية من سنة 1020هـ/1611.
35. القديس إيزيدور: كان مطران إشبيلية. وقد تنبأ هذا المطران بأنه سوف يأتي ملك يذهب إلى بيت المقدس وسوف يموت هناك. إما أنه سوف ينتصر بكلمة الله وحدها وظهور هذا الملك هو أسطورة أيبرية قديمة، تنتهي إلى مجموعة الأساطير، والشائعة أيضا في بلدان المغرب العربي. وهذا الملك المسمى "دون خوان" "Don Juan" ملك النمسا، وتارة فليب الثالث، فهو أيضا ملقب بداود الجديد، وإن هذا الأخير هو مسيح عصر الابن علي الوجه الأكمل، ولافتتاح عهد "الألف سنة" الذي يمثل سلطان الروح - على حد زعمهم - . ينظر: لوي كاريك. ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية. بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات الموريسكية - الأندلسية حول: الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألفميداني وسياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين. مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. تونس. 2009. ط: 1. ص: 96.
36. ابن أبي الفياض: ولد في مدينة أستجة "Ecija" سنة 375 هـ/ 989 م عاش وعمل في مدينة المرية، يعتبر ابن بشكوال الوحيد الذي أشار بشكل مقتضب لأصله وبعض شيوخه ومؤلفه في الخبر والتاريخ ووفاته التي كانت في سنة 459 هـ/ 1066 م. ينظر: عبد الواحد ذنون طه. نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. 1988. ط: 1. ص: 47-52.
37. المرجع نفسه. ص: 52.
38. كنيسة: ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوى إلى الانعقاد. وهي المؤسسة التي تجمع الأتباع؛ وترد لفظة بأكثر من معنى، فهناك كنيسة بمعنى جماعة المؤمنين في منطقة جغرافية محددة. أما الكنيسة التي تعني مكان العبادة فتأتي من وجهة استعمال المكان، أي أن مكان اجتماع الكنيسة صار يسمى "كنيسة" لدلالة الكلمة الوظيفية. ينظر: بولوس وهبة. موسوعة الأديان. بلا معلومات أخرى. ص: 417.
39. من بين المسلمين المهجرين من أسبانيا الذين ستقرهم حال أمرهم في تونس، ولعبوا أدورا بارزة في تفعيل النشاط الاقتصادي بالإيالة نذكر المدعو محمود خزندار، من أصل أندلسي، طرد مع الذين طردوا

من الأندلس بعد قرار النفي النهائي؛ عرف بعمله في إدارة سياسة البلاد، مما جعل حسين بن علي لا يحكم إلا بتوجيهاته ولا يتم أي شيء في الدولة إلا برأيه - شغل منصب وزير المالية. كان غنيا يملك العديد من العبيد. كما كان يهتم بأعمال الخير، إذ بنى مدرسة وزاوية بجانب داره وأوقف عليها عدة أجناس. كما لعب دورا بارزا في إنشاء المستشفى، بحيث كانت له وساطة مجدية بين النصاري الإسبان من جهة، والباي والسكان البلاد من جهة أخرى، مما سهل عليه مهمة تذليل الصعوبات والمشاكل؛ كما ساعد محمود خزندار خيமானات على القيام برحلات عديدة داخل البلاد، وذلك بتقديم يد المساعدة معنوية كانت أو مادية. توفي محمود خزندار في 26 أوت من سنة 1726م. أما الشخصية الثانية فهو المدعو الشريف القسطلبي ينتمي هذا الأخير إلى عائلة " الكونتراس " من منطقة قشتالة. كان غنيا بفضل الغنائم البحرية التي تحصل عليها من عملية الجهاد البحرية التي كان يقوم بها مع رجاله. كما عمل في تجارة العبيد، فقد كان مالكا لأكثر عدد من العبيد بعد السلطة في الإيالة بطبيعة حال، وهي تجارة كانت تدر عليه أرباحا طائلة. من أهم أعماله نذكر تلك الوساطة التي قام بها بين السلطة التونسية الممثلة في شخص الباي والفرنسيين، وذلك حين أرسلوا بواخريهم إلى موانئ تونس وحلق الوادي سنة 1728م؛ كما كانت له عدة وساطات وتدخلات في مسائل داخلية تخص إدارة سياسة البلاد. كما كلفه الباي بإعادة بناء وتنظيم مستشفى المسلمين. إضافة إلى كل ذلك فقد كان له نشاط في قطاع الشاشية، إذ كان يمتلك عدة معامل لصنع الشاشية بالباطان تحت تصرفه أو ضمن ممتلكاته. ينظر: مكبال دي إيليزا. وثائق جديدة حول الأندلسيين. تع: نور الدين الحلاوي. المحلية التاريخية المغاربية. تونس. العدد 15 - 16. جويلية 1979. ص: 137، 138.

40. وصفه أحمد بن قاسم الحجري "...بالولي الشهير..." وكان على تدين كبير. ينظر: المصدر السابق. ص: 55.
41. مخطوط، رقم 9653، نقلا عن: لوت لويات بالرات، غم المنفي الخفي (شهادة مورسكي من تونس). ضمن أعمال المائدة المستديرة تحت عنوان: الأدب الألفمادو - المورسكي، تزواج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي. المعهد الأعلى للتوثيق، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات. تونس. بلا معلومات أخرى، ص: 25.
42. عبد الجليل التميمي. أبو الغيث القشاش. بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الأولى للجنة العالمية للدراسات المورسكية الأندلسية. المعهد الأعلى للتوثيق. منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات. تونس. العدد: 13، السنة 1986. ص: 64.
43. نقلا من مخطوط: غم المنفي الخفي. رقم 9653. عبد الجليل التميمي. أبو الغيث القشاش. المرجع السابق. ص: 25.
44. عثمان داي (1594. 1610م): انكشاري تركي قدم إلى تونس صحبة سنان باشا وارتقى إلى رتبة داي. من أهم إنجازاته العمرانية القصر الذي أمر ببنائه؛ ويعتبر من أقدم القصور وأفخمها في تونس وقد جعله عثمان داي لاستعماله الخاص بعيدا عن القصبة ومشاكل الانكشاريين والمتمردين، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن عثمان داي بقي في قصره هذا إلى أن توفي عام 1019هـ/1610م.
45. ذكر أحمد بن قاسم الحجري بأن هذا الولي كان يقدم للمهجرين المسلمين كل يوم ما قيمته " نحو ألف وخمسمائة قرصة من الخبز صدقة ". ينظر: المصدر السابق. ص: 55.
46. نقلا من مخطوط: غم المنفي الخفي، رقم 9653، (المرجع السابق). ص: 25.

47. المعلومات نفسها أكدها أحمد بن قاسم الحجري، إذ كتب حول الموضوع يقول: "...أكثرهم خرجوا بتونس، وكان عثمان داي أميرا فيها، وتكفل أمورهم بالسكنى في المدينة وغيرها في القرى، وأحسن اليهم غاية الاحسان . أحسن الله اليه . ينظر: المصدر السابق. ص:55.
48. نقلا من مخطوط: غم المنفي الخفي، رقم:9653، (المرجع السابق). ص:25.
49. المهديّة: تتمتع المدينة بموقع استراتيجي مهم في تونس، هذا الموقع ضمن لها حصانة طبيعية. الفاطميون هم أول من اتخذوها عاصمة لحكمهم عند استقرارهم ببلاد المغرب وتمكنهم من تحقيق حلمهم الذي فشلوا في تحقيقه في بلاد المشرق.
50. نقلا من مخطوط: غم المنفي الخفي، رقم:9653، (المرجع السابق). ص:25.
51. من خلال استقرار مسلمي اسبانيا في تونس وإقامتهم بهذه الأخيرة يمكننا استخلاص بعض النتائج الإيجابية لذلك من أهمها، أن الأندلسيين حافظوا على طابعهم الذاتي خصوصا فيما يخص استعمال اللغة الاسبانية، إذ أن بعضهم كان قادرا على ترجمة كتب باللغة العربية إلى الإسبانية، وهو أمر ليس له نظير حتى في المغرب الأقصى. كما لعبت عدة شخصيات أندلسية دورا هاما في إدارة شؤون الإيالة، خاصة في أوائل العهد الحسني، وهو أمر كان مجهولا إلى حد الآن، مما جعلنا ندرك أسباب تمركز الدولة الحسنية مدة قرنين ونصف، هو ما لم يكن ممكنا في طرابلس رغم بعض المحاولات.
52. الأعجمية: يجب التنويه إلى أنه لم يرد في المخطوطات التي ألفها مسلمو اسبانيا مصطلح "الألخميادو"، أو "الألخميادية"، وإنما تم تداول مصطلح "الأعجمية"، مثالا على ذلك نذكر ما ورد نصه في المخطوط الذي كتبه إبراهيم بن أحمد غانم الأندلسي: "كتب بالأعجمية وترجمه له بالعربية ترجمان سلاطين مراکش أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي". ينظر: بن زكريا بن محمد بن غانم بن أحمد إبراهيم. العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع . مخطوط رقم: 1252. المكتبة الوطنية . الحامة . قسم المخطوطات. الجزائر. ورقة:1.
53. أبو القاسم الحجري. المصدر السابق. ص:18.
54. المصدر نفسه. ص:25.
55. المصدر نفسه. ص:25.
56. المصدر نفسه. ص:43، 45.
57. ميشق: يقصد بها بلاد المكسيك.
58. متشمة: هو اسم لأحد ملوك الهنود الحمر.
59. أبو القاسم الحجري. المصدر السابق. ص:99.
60. المصدر نفسه. ص:99.
61. بن زكريا بن محمد. المصدر السابق. ورقة رقم:7.
62. المصدر نفسه. ورقة رقم:8.
63. المصدر نفسه. ورقة :9.
64. لعل من أقدم نماذجه الذاتية، رحلة التاجر سليمان السيرا في بحرا إلى المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز عام 227هـ، بتكليف من الخليفة العباسي الواثق، للبحث عن سد يأجوج ومأجوج، وقد روى الجغرافي ابن خردادبه (ت 272هـ) أخبار هذه الرحلة. ثم تأتي رحلات كل من المسعودي (ت 346هـ) مؤلف مروج الذهب، والمقدسي صاحب أحسن

التقاسيم في معرفة الأقاليم، والإدريسي الأندلسي في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، هذا بالإضافة إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ) وتأتي رحلة البيروني (ت 440هـ)، المسماة تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، نموذجاً فذا مخالفاً لكل ما سلف، إذ تعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهند قديماً، ممثلة في لغاتها وعقائدها، وعاداتها، مع عناية خاصة باللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، إذ يتناولها البيروني بالتحليل، ويقارن بينها وبين اللغة العربية على نحو جديد. وقد أعانه على ذلك إتقانه اللغة السنسكريتية، وثقافته الواسعة، وميله إلى التحقيق والدقة، فضلاً عن إقامته الطويلة بالهند، حيث قاربت الأربعين عاماً. وكان البيروني قد دخلها برفقة السلطان محمد الغزنوي عند فتحه الهند، ثم انطلق سائحاً متأملًا.

65. شاع من أدب الرحلات في تراثنا. أدب الرحلات الحجازية، منها الرحلة الحجازية للبتانوني، ورحلة شكيب أرسلان الموسومة بـ "الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف"؛ وهي تمضي، بشكل عفوي، على طريقة القدماء، وفيها قابل الملك عبد العزيز، وسجل لنا صورة عن إعجابه بشخصيته، كما اعتبر موسم الحج فرصة لاجتماع الصف الإسلامي وتحقيق الوحدة الإسلامية.

66. ابن الصباح: هو عبد الله بن الصباح الأصبغي نسبة إلى قبيلة الصباحين اليمنية؛ وقد كانت قبيلته إحدى القبائل التي دخلت بلاد الأندلس عند فتحها. وابن صباح من سكان مدينة المرية مكث بها حتى بعد سقوطها في يد فرناندو سنة 894هـ/1489م؛ ثم غادرها ليستقر به المطاف في غرناطة. ينظر: جمعة شيخة. بعض المظاهر الدينية في رحلة عبد الله ابن الصباح. ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات المورسكية - الأندلسية الموسوم بتطبيق المورسكين للشعائر الإسلامية (1492، 1609). إشراف: التميمي عبد الجليل. منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية.. 1989. بلا معلومات أخرى، ص: 40.

67. عبد الهادي التازي، منشاب الأخبار وتذكرة الأخيار (حلة ابن الصباح إلى مكة)، www. Google. Fr بتاريخ: 2018-05-26، 16-30 سا. ص: 1.

68. أبو القاسم الحجري. المصدر السابق. ص: 42.

69. المصدر نفسه. ص: 42.

70. المصدر السابق. ص: 43.